تأملات روحية
٦

محبة الله

إعداد
كنيسة الملاك ميخائيل
بالمنصور

ك / ٨٦
١٧

مقدمة

عندما سئل رب المجد «أية وصية هي العظمى في الناموس؟ أجاب «.. تحب الرب إلهك من كل قلبك ... وتحب قريبك كنفسك» ثم ختم ذلك بقوله «بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (١)».

إذن فالمحبة هي أعظم الوصايا، وجميع الوصايا متعلقة بها. ولذلك قال الرسول «وأما غاية الوصية هي المحبة (٢)».

وبولس الرسول جعل المحبة فوق الإيمان والرجاء فقال «وأما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة. هذه الثلاثة، ولكن أعظمهن المحبة». وشرح ذلك فقال «إن كان لي

(١) - (مت ٢٢ : ٣٥-٣٩). (٢) - (١تي ١ : ٥).

نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكنى ليس لى محبة ، فلست شيئاً (١) » .

يكفى فى عظمة المحبة ، أنها صارت إسماً لله . وفى ذلك يقول القديس يوحنا الرسول « الله محبة ، من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه (٢) » .

والمحبة هى العلاقة التى يتميز بها المسيحى ، فقد قال رب المجد « بهذا يعلم الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان فيكم حب بعضكم نحو بعض (٣) » .

وقال الرسول « كل من يحب ، فقد ولد من الله ويعرف الله . ومن لا يحب لم يعرف الله ، لأن الله محبة (٤) » .

وقد وضعت المحبة فى قمة ثمار الروح القدس كقول الرسول بولس « وأما ثمر الروح فهو محبة وفرح وسلام (٥) » .

والمحبة كانت آخر وصية أعطاها الرب لتلاميذه قبل

(١) – (١ كو ١٣ : ١ – ٣) . (٢) – (١ يو ٤ : ٨) .
(٣) – (يو ١٣ : ٣٥) . (٤) – (١ يو ٤ : ٧) .
(٥) – (غل ٥ : ٢٢) .

أن يمضى إلى الجلجثة ، إذ قال لهم « وصية جديدة أنا أعطيكم ، أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضا (١) » .

المحبة هى الرابطة التى بين الله والإنسان ، وفى عظمة محبة الله لنا قال الكتاب المقدس عن الرب إنه « أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى (٢) » . . . أحبنا حتى بذل ذاته عنا ، ونحن نحبه لأنه أحبنا أولا .

وفى محبته لنا شبهنا بعروس له ، وجعلنا جسده وهو الرأس . . . أو نحن الأغصان وهو الكرمة . ولذلك قال « إثبتوا فى ، وأنا فيكم (٣) » . . وهكذا جعلنا هيكلا لروحه القدوس وبيتا ومسكنا له . . .

ووصية المحبة هذه طالبنا بها الله منذ العهد القديم فى أول شريعة أعطاها لنا فى ناموس موسى . اذ قال « تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك (٤) » .

(١) – (يو ١٣ : ٣٤) . (٢) – (يو ١٣ : ١) .
(٣) – (يو ١٥ : ٤) . (٤) – (تث ٦ : ٥) .

إن الحياة الروحية المبنية على المحبة لا تتزعزع أبدا ، لأن « المحبة لا تسقط أبدا (١) » . . وأيضا « المحبة قوية كالموت . . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة (٢) » .

إن المحبة ينبغي أن تدخل فى كل عمل ، وفى كل فضيلة .. فى الصلاة وفى العبادة ، فى العطاء وفى الخدمة . . . فى كل شيء . لذلك قال الرسول « لتصر كل أموركم فى محبة(٣) » .

عندما نصل إلى المحبة ، تتكون بيننا وبين الله دالة ، فقد قال القديس الأنبا أنطونيوس لتلاميذه « يا أولادى أنا لا أخاف الله » ، فنظروا إليه فى إستغراب وقالوا « هذا الكلام صعب يا أبانا » . فأجابهم « ذلك لأنى أحبه ، والمحبة تطرح الخوف إلى خارج (٤) » .

الله لا يطلب منا سوى هذه الوصية الواحدة . . . المحبة . فاذا وصلنا إليها . . فهذا يكفى لأننا سنجد جميع الفضائل داخلها . . لذلك قال القديس أوغسطينوس « أحبب ، وافعل بعد ذلك ما تشاء » .

أما إذا لم نحب الله ، فباطلة هى كل أعمالنا وفضائلنا . . إن الله لا يريد إلا هذا الطلب « يا ابنى إعطنى قلبك (٥) » .

(١) – (١ كو ١٣ : ١) .
(٢) – (نش ٨ : ٦ و ٧)
(٣) – (أم ٢٣ : ٢٦) .
(٤) – (١ يو ٤ : ١٨) .
(٥) – (١ كو ١٦ : ١٤)

المسيح المرفوض

تحدثنا يوحنا البشير عن المسيح المرفوض ويقول « إلى خاصة جاء وخاصة لم تقبله (١) » . إنها ناحية من نواحى العزاء لنا عندما يرفضنا أصدقاؤنا وأقاربنا ، ونصبح غرباء فى هذه الحياة وليس من يعين أو يساعد ، فان المسيح – نور العالم – رفض أيضا من اليهود... ومن هذا الذى رفض ؟ إنه المسيح رب الأرباب المسيح الطيب الحنون الشفوق المملوء بالمحبة والعطف والحنان . . . الذى تربطه بنا كل علامات

(١) – (يو ١ : ١١) .

المحبة . انها قصة متكررة كل يوم يجيء المسيح إلى خاصة ، وخاصة لا تقبله . . .

المسيح المرفوض لا يجد له منادى عندما يقول :

« ها أنذا واقف على الباب وأقرع ، إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل اليه وأتعشى معه وهو (١) معى » .

ولكى لا نلوم الآخرين ، مفروض أن نطبق هذا على أنفسنا ، فكثيرين يقولون ان المسيح جاء إلى اليهود وهم رفضوه ، ولكن انت يا عزيزى هل قبلته ؟ . نحن نرفضه كل يوم . . . نفتح اعيننا على المناظر الشريرة . . . والمسيح هو الوحيد الذى لا نفتح له عيوننا .

فيرد قائلا « رفضونى انا الحبيب مثل الميت المرذول (٢) » المسيح ما زال يقرع على الباب . . « صوت حبيبى قارعا . . افتحى لى يا حبيبتى . . . لأن رأسى إمتلأ من الطل ، وقصصى من ندى الليل (٣) » .

المسيح يتوسل بكلمات كلها رقه للنفس البشرية . . . ولكننا نرد قائلين له « قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه (٤) »

(١) – (رؤ ٣ : ٢٠) . (٢) – (مز ٣٧ : ٢١) .
(٣) – (نش ٥ : ٢) . (٤) – (نش ٥ : ٣) .

المسيح المرفوض أبرع جمالا من بنى البشر ، حلقه حلاوة وكله مشتهيات ، هذا لم يجد من البشر قبلا محبا حنونا ، فعندما أتى إلى العالم ، أتى بتضحية كبيرة ، أخذ شكل عبد وصار فى الهيئة كانسان ، شابه عبيده البشر ومع ذلك لم يهتم به أحد .

فمثلا من الذى إستقبل المسيح عند ولادته ؟ .

لا أحد من أقاربه أو أهله أو مواطنيه إحتفى به ، حتى يذكر الكتاب المقدس أنه « لم يكن لهما موضع فى المنزل(١) » حتى هيرودوس الملك فكر فى أن يقتله – بعد أن تأكد من شخصيته – خوفا منه على ملكه .

ثم كلنا نقول نحب المسيح . . . والمسيح داخل قلوبنا وأفكارنا أما من جهة العمل فهذا مستحيل، وقد نبه يوحنا الرسول عن هذه النقطة وقال « يا اخوتى لا نحب لا باللسان ولا بالكلام بل بالعمل والحق (٢) » .

عندما ذهب إلى مدينته ليكرز هناك ، استقبلوه باستهزاء قائلين « أليس هذا هو ابن النجار . . . ولم يستطع أنه يصنع معجزات كثيرة من أجل ضعف إيمانهم » .

(١) – (لو ٢ : ٧) . (٢) – (١ يو ٣ : ٨) .

المسيح أحب خاصته إلى المنتهى . . أحبنا فى شرورنا وخطايانا ، ونحن نكسر وصاياه ، ويقول بولس الرسول «إنما نحن خطاة مات المسيح لأجلنا ، البار من أجل الأثمة(١) » لذلك يقول الكتاب المقدس « ليس لأحد حب أعظم من هذا ، ان يضع أحد نفسه من أجل أحبائه (٢) » .

المسيح الهنا ليس له شبيه بين الآلهة ومع ذلك رفضناه : « هو محبنا الحب كله ولذلك يقول « نقشتكم على كفى » ويقول أيضاً « شعور رؤوسكم محصاه ، لا يمكن ان تسقط منها شعرة بدون اذن ابيكم » ، ومع ذلك فلم نحبه كما أحبنا :

رفضنا المسيح الذى لم يرفض احدا مطلقا « من يقبل إلى لا أخرجه خارجا » . المسيح الطيب الوديع الذى لم ينكره احدا . . كرهناه ، دافع عن جميع الناس وعندما وقع فى قبضة أعدائه بارادته لم يدافع عنه أحد حتى تلاميذه . كان يرجوهم ان يسهروا معه ساعة واحدة ولم يستطيعوا لأن أعينهم كانت ثقيلة ، وعند ما قبض عليه تفرقوا كلهم وهربوا « تتفرقون كل واحد إلى خاصته وتتركونى

(١) - (رو ٥ : ٨) . (٢) - (يو ١٥ : ١٣) .

وحدى » . اقتيد المسيح من الاعداء بسيوف وعصى وهرب التلاميذ كلهم . . فمن الألوف التى استقبلته عند دخوله أورشليم قائلين له أوصنا ، مبارك الآتى باسم الرب (١) يامالك اسرائيل .

فمن الجموع الكثيرة التى كان يشفيها كما يقول الكتاب « عند غروب الشمس كان كل الذين عندهم مرضى بأنواع أمراض كثيرة يقدمونهم اليه ليشفيهم (٢) » .

لم يدافع عنه أحد عند القبض عليه حتى صديقه نيقوديموس الذى كان يقابله ليلا خوفا من اليهود - لأنه كان عضوا فى المجمع - تكلم بحذر بخصوصه أمام المجمع فقال « ألعل ناموسنا يدين انسانا لم يسمع منه أولا ويعرف ماذا فعل (٣) » ، والذى اخذ جسد يسوع بعد موته لكى يشترك مع يوسف الرامى فى تحنيطه .

المسيح لم يدافع عنه أحد . . . المسيح المرفوض هو الذى دافع عن أشر الخطاه (المرأة الزانية) ، وكذلك المرأة الخاطئة التى سكبت الطيب على قدميه ولما ، تضايق

(١) - (يو ١٢ : ١٣) . (٢) - (لو ٤ : ٤٠) .
(٣) - (يو ٧ : ٥١) .

منها التلاميذ قال لهم « لا تزعجوا المرأة لقد عملت فى عملا حسنا » . المسيح الذى دافع عن العشارين والخطاه وأكل فى بيت متى العشار وجعله رسولا ، وأكل فى بيت عشارين منبوذين وكان يحتمل بسببهم السمعة الرديئة ، كانوا يقولون عليه أنه أكول وشريب خمر ومعاشر للزناة والخطاه . ومن أجل أن يتراءف عن هؤلاء الناس ، جاز المعسره وحده . . فاذا وقفنا بمفردنا فى العالم لا نزعل لأن المسيح كان بمفرده ولم يغضب ولم يستاء ولم ينقص حبه ، ولم ينقص حنانه ، ولم يخرجهم من قلبه ، ولم يفقدهم ثقته . ظل كما هو المحب العطوف الطيب اللطيف الذى لم يحرج أحداً ؛ بل يقبل اليه الجميع حتى التوبيخ الذى وجهه لبطرس كان رقيقا « يا سمعان بن يونا اتحبنى . ارع غنمى » (١) التلاميذ كانوا ضعفاء مساكين ولكن المسيح قال « بسكره يبقوا كويسين عندما يحل عليهم الروح القدس » ... هم رفضونى وأنا لا أرفضهم .. هم تخلوا عنى وأنا لا اتخلى عنهم — أحس بولس بذلك وقال « فى احتجاجى الأول لم يبق معى أحد .

(١) — (يو ٢١ : ١٥) .

المسيح المرفوض — عند الصلب — ذهب عنه كل الناس فى هذه الأيام أيضا يقول المسيح « فين اللى معاك يارب ؟ » المثل هو هو . واحد يعتذر بحقله والثانى ببقرته والثالث بزوجته ... والآن حتى التلميذ الصغير فى الاعدادى يقول معنديش وقت أصلى ؛ واحد موظف يقول ما عنديش وقت للمسيح ... انا خجلان من كلمة ما عنديش وقت ... يعنى المسيح رخص فى أيامنا لهذه الدرجة ... دقيقتين ... يقول ما فيش وقت .

أنت المحتاج للمسيح وليس هو ، أنت تأخذ منه ولا تعطيه ، ومع ذلك مازال المسيح مرفوضا كما كان ليس له أين يسند رأسه ... المسيح عايز يضع رأسه على صدرك لأن الله

[redacted] يحب الانسان ، لأن (الله محبة) ، لذلك جعل مسرته فى بنى البشر ... يبحث عن صداقة الانسان ولا يجد من يصادقه ربنا يجرى وراءنا ؛ والمفروض إن إحنا نجرى وراه ، ثم نقول له إحنا بنحب غيرك ... إبعد عنا ... هو ده اللى حاصل اليومين دول .

ربنا خلق الانسان وجعل له سلطان على الجنة ليخضع له جميع حيوانات البرية وسمك البحر وطيور السماء ... اعطاه ايضا صورته ومثاله ؛ ولكن الانسان يترك صداقة الله لسكى يصادق الحية وكلامها . ربنا يقول لا تأكلوا من هذه الشجرة ... وهى تقول : لا . كلوا لكى تصبحوا كالله . . . كلام حلو لطيف انخدع به آدم ؟ . الله يبحث عن صداقة آدم ؛ وآدم يهرب منه . ما اسهل ان الله يفقد صداقة الانسان ، ولكنه لم يريد ذلك بل من أجله خلق الأشجار والثمار والشمس والقمر بل من أجله عمل كل شىء وبعد ذلك الانسان غير قادر أن يحب الله . أنت إنسان جسدانى ترفض الله لأن الجسد يهمك ... تريد ان تتذوق الشجره وثمرها الجيد ... الانسان مستواه إنحط وأصبح

لا يحب الله ؛ لدرجة ان الرب زعل وقال « أمحو عن وجه الارض الإنسان الذى خلقته (١) » ، لانه لم يجد محبته فى الانسان ... لا يجد أى ركن فى قلب الانسان لكى يسكن فيه ... الانسان الذى ربنا تضايق منه وأهلك العالم بالطوفان ؛ إختار منه نوح وأولاده لأنه كان بارا ؛ فاذا بأولاد نوح قد عبدوا الأصنام لدرجة إن ربنا فرز إبراهيم لوحده ، لأن العالم كان كله مملوء بالشر .

المسيح يتنهد ويقول «رفضونى أنا الحبيب مثل الميت المرذول ؛ لأن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ».

الله يشرح هذا الموضوع بطريقة جميلة ... ربنا من محبته لنا يشبهنا بالكل مثل : بالأم والاخوة ، وبالمحبة الكبيرة الموجودة بين الزوج والزوجـــة ؛ وعلى الرغم من كل هذه التشبيهات لا توجد محبة لله . فعندما تبحث عن خدام الله لا تجد من يشتغل فى الخدمة ، لدرجة مرة من المرات تذكرت هذا الموضوع فى بعض أبيات قليلة من الشعر :

---

(١) – (تك ٦ : ٧) .

دخلت البيت لا مرثا بساحته ولا مريم

فمن للرب فى البيت وكيف اذا أتى يخدم

ومن يطهو لمقدمه ومن يجرى ومن يبتسم

ومن يرتد بطلعته ومن يضبى ومن يفهم

كان هناك خناقة بين مريم ومرثا؛ولكن الآن لا توجد لا مريم ولا مرثا . . «الحصاد كثير والفعله قايلون فاطلبوا من رب الحصاد ان يرسل فعله إلى «حصاده» . مين يرضى يمشى مع المسيح ؟ ؟ مش شهلة الحكاية دى ... تعرفوا لو لقينا حد يخدم ، ما يرضاش أبوه ولا أمه ، وتقوم خناقات فى البيت ويقولوا له إنت تجننت . . . تخدم ربنا ... داهوس دينى إسمه خدمة ربنا ... من أول دلوقت اجتماعات ما ترحش ومدارس الأحد ايضا . .

المسيح مازال مرفوضا . . . احنا صحيح لما نتكلم عن هذا الموضوع نرجع عن كرامتنا وننسى حالتنا لأن (المسيح اتى إلى خاصة وخاصة لم تقبله (؛والذين يقبلونه يعتبروا مجانين فى نظر الناس؛الله عايز يصطلح معانا وعايز يصادقنا... المسيح عاطفى ويعيش بالحب وللحب ...يحب الناس ويمكث معهم طول الوقت؛ولكن كل ما يحب واحد فينا يتركه ويمشى مع الشيطان .

كم دقيقة تقدمها للمسيح ؟ عايز حد يحبه مش لاقى ؟ . نصف ساعة للحب فى اليوم ... المسألة دى عايزة تفكير ... حديعطى ساعتين . . دخلنا فى الحنون . ٥ ونسمع الصوت الحزين يقول « رفضونى انا الحبيب مثل ميت مرذول » . كان يجول يصنع خيراً من بلد إلى بلد يكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل ضعف فى الشعب .

محبة الآباء القديسين :

كل هذا الحب لم يجعـــل الناس يحبونه ولكنهم احبوه فيما بعد عندما أنسكب الروح القدس فى قلوبهم مثل السنه نارية ... من أجل هذا الحب آباؤنا القديسون قدموا رقابهم للسيوف وأجسادهم للتعذيب،وكانوا يترنمون فى محبة المسيح ويسبحون ويرتلون فى السجن وهم ذاهبون ايضا إلى الاستشهاد . حرارة الحب تطغى عليهم جميعا بشكل لم يتصوره أحد ... وهذا الحب بهذا الشكل قضى على كل الفلسفات القائمة ... قضى على الثقافات القديمة أيضا . هذا الحب ظهر فى الشهداء والقديسين ، ظهر فى الخدام وحماة الإيمان، وظهر فى النساك والعباد الذين جالوا وعاشوا فى المقابر وشقوق الجبال من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح . وهذه الفترة مرت كحلم من الأحلام رأته البشرية فى القرن الرابع الميلادى،وفى القرن الخامس صحت البشرية على هذا

الحلم ، ولم يعد هناك حلم مثل هذا بعد ذلك . وعندما نبحث فى بطون التاريخ (كل ١٠٠ أو ٢٠٠ سنة) نجد إسما واحدا أو اثنين ظاهرين فى المحبة ... لا تيأس جايز ٧٠٠ ركبه لم تنحنى بعد إلى البعل كما حدث فى أيام إيليا (ولو أنها محبة غير إيجابية) ، اما المحبة القديمة القوية فهى مثل محبة دانيال الذى لم يخف حتى من الأسود .

ربنا مازال يعاتب ويقول اشهدوا ياناس واحكموا ، السماء والأرض تشهد أيضا « اسمعى ايتها السموات واصغى ايتها الأرض لأن الرب يتكلم ،ربيت بنين ونشأتهم ، أما هم فعصوا على ، الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه اما اسرائيل فلا يعرف ، شعبى لا يفهم ، ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الاثم . . . استهانوا بقدوس اسرائيل وارتدوا إلى الوراء (١) » . ربنا عايز واحديحبه ومش لاقى . يتطلع الرب إلى أورشليم ولم يجد واحد ... العبارة الخطيرة المرعبة يقدمها الكتاب « ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الايمان على الأرض (٢) » .

(١) – (أش ١ : ٢) . (٢) – (لو ١٨ : ٨) .

احنا مش عايزين الظواهر ، بعض الناس عندما تصلى تكتفى ببعض كلمات كتعويذه فى الاجبية فتقرأ مزمورين كتعويذه فى الصباح والمساء . يا أبى أعطنى قلبك . . . من أستجاب لهذه العبارة ؟ الله يتوسل الينا وعايز يعمل علاقة معنا ، علاقة حب ، ومش لاقى ... الذين لم يقبلوه لهم يومهم «مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى» .. احايلك.. احايلك.. ان سمعت . . سمعت وان لم تسمع سأريك . ، اقرأ ماذا قال عن أورشليم الزانية فى اصحاح ١٦ من سفر حزقيال .

« وقد كنت عريانه وعارية ، فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب ، فبسطت ذيلى عليك وسترت عورتك ، وحلفت لك ودخلت معك فى عهد يقول السيد الرب . فصرت لى ، فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت . وألبستك مطرزة ونعلتك بالتخس وأزرتك بالكتان وكسوتك بزا ، وحليتك بالحلى ، فوضعت أسورة فى يديك وطوقا فى عنقك ، ووضعت خزامة فى أنفك وأقراطا فى أذنيك وتاج جمال على رأسك ، فتحليت بالذهب والفضة ، ولباسك الكتان والبز والمطرز ،

أكلت السميذ والعسل والزيت وجملتك جدا جدا فصلحت لمملكة . وخرج لك إسم فى الأمم لجمالك لأنه كان كاملا بهائى الذى جعلته عليك يقول السيد الرب .

فأتكلت على جمالك ، وزنيت على إسمك ، وسكبت زناك على كل عابر . . . ويل ويل لك يقول السيد الرب . . . لذلك ها أنذا أجمع محبيك . . مع كل الذين أبغضتهم ، فأجمعهم عليك من حولك . . . وأحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم . . ، وأسلمك ليدهم فيهدمون قبتك ويهدمون مرتفعاتك وينزعون عنك ثيابك ، ويأخذون زينتك ويتركونك عريانه وعارية . ويصعدون عليك جماعة ويرجمونك بالحجارة ويقطعونك بسيوفهم ، ويحرقون بيوتك بالنار ، ويجرون عليك أحكاما قدام عيون نساء كثيرة . . . (١) » .

ربنا ساكت يجرى ورانا يخطب ودنا وبعدين اذا هربنا منه ولا يجد فائدة فهناك العقاب الأبدى .. لا يوجد تدليل أو دلع ... يأتى المسيح على سحاب السماء ويرسل الملائكة

(١) - (أش ١٦ : ٧ - ٤١) .

ويجمعون الأمة من الجهات الأربع ويلقونهم فى النار ، لأن (لكل شىء تحت السماء وقت) .

فاستيقظوا يا اخوه ... « اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم » .

فرعون ربنا سامحه كثير ورفع عنه الضربات واخيرا لم يجد منه فائدة ، غرقه فى البحر .

فليتنا نتعظ ونستيقظ لخلاص نفوسنا ، ونقبل المسيح فى كل وقت ، ولا نرفضه كما يفعل الأشرار ، فيكون نورا لحياتنا وخلاصا لنفوسنا .

الفصل الثانى

كيف تحب الله

تمهيـــد :

كل إنسان يجب أن يحب الله من كل القلب والنفس والقدرة ، كما تتضمن الوصية الأولى من الوصايا العشر (١) ، فيقول موسى النبى « الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك (٢) » .

فالله لا يدعونا عبيدا بل أحباء (٣) ، لذلك طلب إلينا عندما نصلى أن ندعوه « أبانا » ، ونحن نحبه — كأب — لأنه هو أحبنا أولا (٤) .

(١) — أنظر كتاب « الوصايا العشر فى المفهوم المسيحى » لنيافة الأنبا شنودة .
(٢) — (تث ٦ : ٤ و ٥) . (٣) — (يو ١٥ : ١٥) .
(٤) — (١ يو ٤ : ١٩) .

ومعنى تحب الرب من كل قلبك ، أن لا يكون فى قلبك محبة أخرى غير الله . .

ومن كل فكرك معناه ، أن تفكر فى الله فقط ، ولا يوجد فى فكرك شىء غير الله . . .

ومن كل قدرتك ، معناها أن تحب الله على قدر إمكانك ، وكل ما فى وسعك .

كيف تدرب نفسك على محبة الله :

هناك تدريبات كثيرة لكى تحب الله من كل قلبك سنذكر بعضا منها فيما يلى :

أولا — يجب أن تتخلص من المحبات الأخرى المنافسة لله :

فأنت لا تستطيع أن تحب الله والعالم فى وقت واحد ، فاقلع فى قلبك عن المحبـــات الأخرى التى تنافس محبة الله ، فان وجدت شيئا حاربه بكل قوتك .

فالسيد المسيح له المجد قال عن محبة الأقارب « من أحب أبا أو أما . . . أكثر منى لا يستحقنى » .

وتكلم عن محبة المال قائلا « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال (١) » .

ومن أخطر المحبات الأخرى هى محبة العالم ، فقد قال عنها يعقوب الرسول صراحة « إن محبة العالم عداوة لله (٢) » . ويوحنا الرسول ثبت هذا الكلام بقوله « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب ، لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة . ليس من الآب بل من العالم ، والعالم يمضى وشهوته . . (٣) » .

ويضرب القديس بولس الرسول مثلا حيا فى الخدام

(١) – (مت ٦ : ٢٤) . (٢) – (يع ٤ : ٤) .
(٣) – (١ يو ٢ : ١٥ – ١٧) .

الذين أحبوا العالم فتركوا الله والخدمة قائلا « ديماس قد تركنى ، إذ أحب العالم الحاضر (١) » .

لذلك سكن آباؤنا القديسون فى البرارى والمقابر بعيدا عن العالم من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح ، لأنهم شعروا بتفاهة العالم وكل شهواته .

فاذا أردت أن تحب الله ، لا تعلق نفسك بمحبة أى شىء فى العالم . وكما قال أحد القديسين « لا تتأمل كثيرا فى الأشياء العالية . إن الذى لا تبصره النفس لا تشتهيه » .

وكما قال الرسول « يكون الذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه » .

سليمان الحكيم كان يقول « كل ما اشتهته عيناى لم أمنعه عنهما » واستطاع أن يملأ حياته بالجنات والفراديس والمغنين والمغنيات ، ولكنه أخيرا قال « باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس » .

(١) – (٢ تى ٤ : ١٠) .

ثانيا — أشعر بغربتك فى العالم :

وهذا يزيد صبتك لله وتشعر أنك ستكون مع المسيح بعد انتقالك من هذا العالم ، كما قال بولس الرسول « لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدا » .

وكما كان داود يردد دائما « غريب أنا على الأرض فلا تخف عنى وصياك » .

وشعورك بالغربة على الأرض يجعل أفكارك دائما فى الوطن السمائى . . فكل عمل تعمله تسأل نفسك « ماذا يعنى هذا العمل فى السماء ؟ . .

لا تظنوا أن الأبدية بعيدة . . ينبغى أن نشعر بغربتنا داخل الجسد ، وغربتنا داخل العالم كقول بولس الرسول « أما نحن فى جسد فنحن غرباء » .

فالذين أحبوا الله من كل قلوبهم يشتاقون أن يكونوا مع الله على الدوام ، سواء كانوا فى الجسد أم فى غير الجسد ، لذلك يكونوا فى علاقة حب مع الله . .

أما الذين يحبون العالم ويتمسكون بشهواته ، فانهم يضعون مشروعات كبيرة لسنوات عديدة كالغنى الذى خزن خيرات عظيمة لسنوات كثيرة فجاءه الصوت الإلهى قائلا « ياغبى . الآن تؤخذ نفسك الليلة » .

ابراهيم أبو الآباء كان يسكن فى خيمة على الدوام لأنه شاعر أنه غريب على الأرض وأن وطنه هو فى السماء .

ثالثا — دوام على قراءة سير القديسين :

فهؤلاء أحبوا الله من كل قلوبهم وتركوا كل شىء من أجله . . أقرأ كيف عاشوا ، وكيف صاروا ملائكة على الأرض .

فى مرة خبط الشيطان على الأنبا بولا وقال له « يا بولا إفتح لى » ، فقال له القديس الأنبا بولا « بولا ليس هنا » ، فخبط الشيطان مرتين ولم يرد عليه الأنبا بولا ، فسأله الشيطان «من بالداخل ، من الذى يكلمنى ؟» . فأجابه الأنبا بولا قائلا « هنا المسيح فى ثياب بولا . . كان زمان واحد عايش هنا أسمه بولا ، ولكنه إنتهى . . » .

وبولس الرسول قال « مع المسيح صلبت لأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فى » .

فعندما ندرك كيف عاش الآباء ، وكيف كانت علاقتهم بالله قوية ، وكيف كانت معهم مفاتيح السماء والأرض : يغلقوها إذا شاءوا ، ويفتحوها إذا شاءوا . : نستطيع أن نتمثل بهم . .

لذلك قال عنهم الشيخ الروحانى « يكونون ليسوا كمن يصلون ، ولكنهم كمن يتقبلون الصلاة » .

أحدهم يذهب إلى أحد القديسين ويقول له « صلى من أجلى لكى تنجب زوجتى أولاد » ، فيرد القديس على الفور « روح ستلد لك زوجتك حالا » .

ولذلك قال الشيخ الروحانى « هؤلاء ، يكون الواحد منهم كمن أؤتمن على كنوز أبيه ، فهو يفتح كنز أبيه ويعطى للناس » : :

تأمل يا أخى فى حياة القديسين كيف كانوا يرون مناظر واستعلانات ، ويكلمون الله ، والله نفسه يكلمهم : :

وكيف كانت المعجزات تحدث بواسطتهم بشكل عجيب . .

تأمل كثيرا لكى تأخذك الغيرة وتقلدهم ، فتشتاق إلى العشرة مع المسيح والملائكة والقديسين . .

عندما تقرأ سيرة القديس مقاريوس الكبير تجد أنه فى مرة من المرات كان تعبان جداً وهو ماشى فى الجبل ، وبينه وبين المغارة التى كان يسكنها مسافة كبيرة ، فقال لله « انت يارب عارف انى تعبان ، وليس فى قوة لكى أصل إلى المغارة » . فيقول بستان الرهبان « انه وجد نفسه فى الأسقيط (المغارة) بمجرد أن طلب من الله ذلك . .

القديسين أحبوا الله ، والله أحبهم ، لذلك كانت هناك دالة متينة وصداقة قوية بينهم وبين الله ، لدرجة أن ربنا يقول لإبراهيم « هل أخرق سدوم من غير ما أشاور ابراهيم ؟ » .

وكما يذكر سفر التكوين هذه الحادثة بالتفصيل فيقول « فقال الرب هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله (١) » .

(١) - (تك ١٨ : ١٧) .

وعندما علم ابرهيم بهذا الموضوع تجرأ وقال للرب « أفتهلك البار مع الأثيم . . . حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلا . . (١) » .

وعندما نتكلم عن أخنوخ البار نجد أن الكتاب المقدس نفسه يقول بصريح العبارة « وسار أخنوخ مع الرب ولم يوجد ، لأن الرب أخذه » .

إحتقر أخنوخ شهوات العالم . وأحب الرب وسار فى طريقه ، فيأخذه الله إلى فوق لأن الأرض أصبحت لا تليق بأخنوخ البار .

وتكلم بولس الرسول عن الذين أرضوا الرب فى رسالته إلى العبرانيين وفى آخر كلامه قال « وماذا أقول أيضا ، لأنه يعوزنى الوقت ان اخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء ، الذين بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا برا ، نالوا مواعيد سدوا افواه أسود . أطفأوا قوة النار ، نجوا

(١) - (تك ١٨ : ٢٣ - ٢٥) .

من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء فى الحرب ، هزموا جيوش غرباء . . . (١) » .

رابعا - فكر فى إحسانات الله عليك :

لكى تحب الله محبة قوية فكر فى إحساناته عليك . . . إجلس بينك وبين نفسك واكتب هذه الإحسانات من أول يوم ولادتك إلى هذه اللحظة ، واسأل والديك ، قد يكون قد حدثت عدة معجزات لك أنقذك الله فيها من موت محقق وأنت صغير لا تدرك شيئا من الحياة . .

اشكر الله فى كل حين على هذه البركات والنعم الجزيلة التى يسبغها الله عليك . . وستشعر أن الله حنين ورحوم عليك ويحبك ويحفظك ويعطف عليك فى كل حين .

نحن إنما ننسى إحسان الله علينا ، ولذلك إن جاءت أى تجربة ولو صغيرة بسرعة نتذمر على الله ، وننسى أن إحسانات الله أكثر بكثير من تجاربه .

(١) - (عب ١١ : ٣٢ - ٣٤) .

لو أى إنسان عاشر شخص مدة طويلة من الزمن من الصعب عليه أن يفارقه ، لأنه سيكون صديق ورفيق وزميل ومحبوب لديه جدا ، هكذا الإنسان لو عاشر الله سيكون من الصعب مفارقته ، وسيحبه من كل قلبه ، لأن معاشرة الله ممتعة للغاية .

داود النبى كان يحب الله ، لأن كان الله فى فكره دائما ، وإسم الله على لسانه وفى تأملاته . . فكان دائما يردد ويقول « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى . . » .

ولكن للأسف الشديد نحن مشغولين بالعالم طول الوقت ، وإسم ربنا ليس له وجود فى حياتنا . . . مشغولين بأغانى العالم الصاخبة وفكرنا بعيد كل البعد عن الله .

إعط لله كل وقتك وفكرك وردد إسمه على الدوام . . كلم الرب بعنصر المناجاة فى الصلاة . . لتكن لك صلاتك الخاصة . . إكشف له قلبك كله ولا تخفى شيئا ، حتى ولو كان محجلا . .

إتخذ الله كصديقك الأول والأخير ، وإطلعه على حالتك كلها وفكرك وحروبك وتجاربك واشكره فى كل حال . حتى على التجارب التى يسمح بها ، لأنها دائما فى صالحك .

لا تجعل العبادة مجرد وقت تؤديه أو فرض واجب عليك .

بل إجعل الرب أمامك فى كل حين . إجعله أول واحد تلتقى به فى الصباح الباكر ، وآخر واحد تتكلم معه فى المساء .

حاول تدخل الله فى كل حديث ، تجعله يقود الحديث .

إجعل الرب العنصر المشترك فى حياتك كلها . . فى ذهابك وإيابك . . فى مرضك وفى صحتك . . واشعر أن الرب موجود أمامك ومحبتك وتسعى لملاقاته فى كل حين . . وردد مع داود النبى القائل « جعلت الرب أمامى فى كل حين . . »

سادسا ـ فكر فى صفات الله الجميلة :

من أجمل التداريب لحياتك الروحية أن تتأمل فى صفات الله الجميلة . . فمثلا الله طويل البال جدا . . فلو تأملت فى طول بال الله من أول الخليقة إلى يومنا هذا ، لتأخذك الدهشة وتسرح الساعات الطويلة فى محبة الله للبشر وعنايته بهم منذ أكثر من خمسة آلاف سنة مضت . . ولديك الكتاب المقدس الذى يسجل لنا هذه الصفة بالتدقيق .

داود النبى صرخ قائلا « ليس لك شبيه بارب بين الآلهة » ، لأنه تأمل فى صفات الله وأحب الله من كل قلبه . .

هل نستطيع أن نقارن بين أى إنسان مهما علا مركزه أو ازدادت قداسته بالله . . حاشا ، فلا يوجد أدنى مقارنة . .

فكر فى معاملات الله لقديسيه واستعرض جميع قديسى العهد القديم والعهد الجديد ، تجد أن الله عاملهم بلطف ومحبة ورحمة زائدة . .

فكر فى الله الذى تواضع واتخذ له جسد إنسان لكى

يخلصنا من الخطية ومن العبودية . . .

فكر فى آلام المسيح على الصليب من أجلك . فكر فى المسيح الذى يبحث عنك فى كل مكان ، كالراعى الصالح الذى يبحث عن الخروف الضال .

فكر فى الذى قام من الأموات وكسر شوكة الموت لكى يعطيك قيامة من موتك . .

فكر فى الذى صعد إلى السموات لكى يعد لك مسكانا مناسبا هناك ويأخذك إلى السعادة الأبدية .

أبعد ذلك كله لا تستطيع أن تحب الله الذى بذل نفسه عنك ، والذى يعتنى بك ويقوتك ويحفظك من كل سوء . .

إننا عندما نحب إنسان عطف علينا أو قدم لنا خدمة ، نظل السنوات نخدمه ونشيد بفضله ، ونود أن نمكث معه على الدوام . . . فما بالك بالله الذى له جميع الصفات التى يمكن أن توجد فى أى إنسان أو فى أى ملاك فى هذا الكون .

الله قادر أن يسكب محبته فى قلوبنا بفعل الروح القدس ، وان يدربنا ويرشدنا كيف نحبه المحبة الحقيقية التى سلكها أباؤنا القديسون ، فكافأهم الرب بمحبته العجيبة لهم ولإلهنا كل مجد وإكرام وسجود إلى الأبد .

آمين .

صدر من هذه النبذات القيمة

١ — الغضب (نفد) . ٢ — لطف الله .

٣ — الإتضاع . ٤ —

٥ — عناية الله .

٧ — الكتاب المقدس .

+ تطلب من مكتبة كنيسة الملاك ميخائيل بدمنهور .

+ ومن جميع المكتبات الشهيرة بأنحاء الجمهورية .

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)